إشكالية الأطفال مجهولي الوالدين في الوطن العربي

إشكالية الأطفال مجهولي الوالدين في الوطن العربي

جائزة الشيخ
خليفة بن سلمان
بن محمد آل خليفة
العلمية
لعام 2019

مركز معلومات المرأة والطفل
Information Center for Women and Children

+00973 - 17 - 780 - 500
+00973 - 17 - 687 - 147
INFOCENT@BATELCO.COM.BH
icwc_bh
https://www.facebook.com/ICWC.BH/
www.infocent.com.bh

إشكالية الأطفال مجهولي الوالدين في الوطن العربي

إشكالية الأطفال مجهولي الوالدين في الوطن العربي

يشكل الإهتمام بالطفل والطفولة مجالاً واسعاً وممتداً على مستوى العالم ككل، حيث تتجه الجهود في وقتنا الراهن في كل مكان في العالم نحو الإهتمام بالأطفال وبالطفولة والسعي الحثيث نحو توفير أفضل السبل الممكنة لتحقيق طفولة آمنة مستقرة ومتكيفة، طفولة خالية من العنف والتمييز والمشاكل والعنف بكل أشكاله.

لقد أصبح المشهد الكوني ينطوي على كل الإحتمالات في ظل الوتيرة المتسارعة التي تمر بها المجتمعات الإنسانية في المرحلة الراهنة، حيث تبرز في الأفق المنظور تحديات جسام غير مسبوقة في الحضارة البشرية، الأمر الذي يضاعف من الأهمية الإستثنائية لحماية الأطفال ورعاية حقوقهم وتربيتهم والإهتمام بقضاياهم ومشكلاتهم، وتركيز كل الجهود في إنجاح إعداد أجيال المستقبل، أجيال واعية تتمتع بكل سمات التوازن النفسي والعقلي والجسدي، وتتميز بكل صفات الشخصية القادرة على العمل والإنتاج والإبداع والمشاركة. لم يعد خافياً بأن ظاهرة الأطفال مجهولي الهوية بإعتبارها تشكل ظاهرة عامة لا يخلو منها أي مجتمع معاصر، لها آثارها العميقة وإنعكاساتها المباشرة على الأمن والسلم الإجتماعي المنشود، والتي يتطلب الإعتراف بها أن يكون مدخلاً للتعامل مع هذه الفئة من الأطفال، من منظور إنساني وحقوقي شامل، يستهدف في الأساس إدماجهم في نسيج الحياة المجتمعية كمواطنين يتمتعون بكامل الأهلية.

وتبرز قضية الأطفال مجهولي الهوية في الوطن العربي كإشكالية مترابطة ومعقدة، إنها حزمة من المشكلات المتداخلة من الحقوقية والنفسية والإجتماعية والأخلاقية والسلوكية والتربوية والبيئية وغيرها لتشمل جميع أوجه وجوانب الحياة العربية، بحيث لا يمكن معالجة قضية الأطفال مجهولي الهوية في إطار حل مشكلة جزئية أو فرعية محددة فيها، بل يجب أن تتوفر حلول شاملة لمشاكل عديدة مترابطة، لا تتوفر إمكانية حلها منفردة إلا في إطار حل عام يشملها جميعاً.

يتعرض الأطفال مجهولي الوالدين لفقدان العلاقة مع الوالدين نتيجة لغيابهم الفيزيقي، وهو ما يختلف عن النبذ أو التسيب أو الاهمال الذي يحدث في الأسر المتصدعة حيث الوالدان متواجدان.. إلا أنهما لا يقومان بواجب الرعاية بالدوعية المطلوبة. وكذلك يختلف الطفل المجهول الهوية عن الطفل اليتيم الذي يفقد أحد والديه أو كليهما في هذه الحالة، بعد أن عاش فترة متفاوتة في مداها في كنفهما.

ويظهر الحرمان العاطفي الكلي لدى حالة الطفل مجهول الوالدين والذي ينشأ في دار الرعاية للأيتام وكلما كان الحرمان كلياً، أي إنه لم يتم تبني الطفل مجهولي الوالدين أو تكفله في مرحلة مبكرة جداً، كانت آثاره أشد خطورة على نموه وصحته النفسية والإجتماعية، ويبدو ذلك واضحاً عند زيارة لمجموعة الأطفال في دور الأيتام، حيث يمكن ملاحظة التأخر العام في النمو عليهم، في جميع الأصعدة الجسمية والحسية والحركية واللغوية والذهنية والإنفعالية، رغم التغذية المناسبة والعناية الصحية بهم، وتزداد مشاكلهم كلما تقدموا في السن وهم في المؤسسة.

يظل الواحد من الأطفال مجهولي الوالدين، حين يصبح فتى، أسيراً لسؤال جذري من أنا؟ ولماذا تم التخلي عني؟ ومن هما والداي؟ وتستمر الأسئلة إذا تم كفالته في أحضان أسرة بديلة حيث يطرح الأسئلة لماذا لم يتم منحي أسمي الأبوة؟ لماذا يكون تمييزاً بيني وبين الآخرين في الأسرة والمجتمع؟ إنه آلام لغزة وجودية يفتقرفيها إلى المرجعية الذاتية التي تشكل لب بناء الهوية والتوجه نحو الذات والآخرين والعالم.

وهكذا يسبب الخلل مفهوم الذات لدى الطفل مجهول الوالدين، بحيث لا تتموضع صورة إيجابية عنها لديه. وهو ما ينعكس حقداً على الذات وعلى المجتمع وعلى الآخرين، يتجلى في ثورات الغضب التي تتفجر في وجه القائمين على رعايته بين الحين والآخر.

يعيش الأطفال مجهولي الهوية حين يصبحون فتية رهينة هذا المأزق الناتج عن كارثة التخلي عنهم من قبل آبائهم المجهولين وهو مأزق يؤدي إلى إرتهان حاضرهم وهدر مستقبلهم. ولذلك فإن الديمومة والنظرة المستقبلية غالباً ما تصاب بالإضطراب. ولهذا يعاني المربون والإختصاصيو التأهيل كثيراً في جهودهم لمساعدة الأطفال مجهولي الهوية على إعداد هم وأهوائهم وتوجهاتهم المستقبل.

ولا تتوقف وتيرة التأزم الإشكالي في توصيف وضعية الأطفال مجهولي الهوية في الوطن العربي عند مستوياتها النفسية والإجتماعية والتربوية فحسب، بل تزداد تعقيداً إذا تم معاينة الوضعية القانونية والحقوقية لقبول المجتمع بهم دون تمييز. فالقوانين والإجراءات التشريعية العربية تضع أحكاماً تنظم تسجيل الأطفال مجهولي الوالدين بالتسجيل أن تختار للطفل إسماً وأن تثبت إسمين غير حقيقيين لوالدي الطفل حتى وإن تم تكفله وهو طفلاً صغيراً، وذلك بإعتبار أن الإنتساب حرام نسبة الانسان إلى غير أبيه وبالتالي فإن التبني حرام.

على الرغم من مصادقة الدول العربية على منظومة القانون الدولي لحقوق الإنسان وبخاصة إتفاقية حقوق الطفل، والتي تنطبق أحكامها على كل إنسان مجرداً من أي وصف وهذا ما يصدق بالنسبة للطفل المجهول الهوية، فهو في منظور القانون الدولي إنسان كغيره من البشر، له من الحقوق كل ما لهم، وينبغي تمكينه من ممارسة هذه الحقوق بالقدر ذاته الذي يتاح لغيره وفي إتفاقية حقوق الطفل فإنها تنص على أن يتمتع الطفل بالحقوق على قاعدة المساواة وعدم التمييز والخلاصة الأهم في هذا الشأن، هي أن للطفل مجهول الأبوين جميع الحقوق المقررة بموجب الإتفاقية لجميع الأطفال، وأن يحظى بالنسبة إلى بعضها ببعض العناية المميزة التي تقتضيها خصوصية حالته الناشئة عن الحرمان العاطفي الكلي من غياب الأبوين.

من هذا المنطلق فإن معالجة الإشكالية للأطفال مجهولي الوالدين في الوطن العربي، موضوع المسابقة لجائزة الشيخ خليفة بن سلمان بن محمد آل خليفة، ينبغي أن تستند على المرجعية العلمية، أي تحديد الفرع العلمي المعرفي الذي سوف تستند الدراسة إلى حقائقه ونظرياته ومنهجياته وأدواته، في رصد ودراسة ومعالجة إشكالية الأطفال مجهولي الوالدين، بحيث تكون المقاربة العلمية مفتوحة على العلوم الإنسانية وفروعها المتعددة سواء في علم النفس أو الإجتماع أو القانون أو أية فروع علمية أخرى.

وموضوع الأطفال مجهولي الهوية هي إشكالية بإعتبارها قضية عامة، وهي تمثل ملفاً يتكون من منظومة من المشكلات الفرعية التي تشكل أوجهاً متنوعة لها، كما إنها تتكامل فيما بينها وتتبادل التأثير مما يزيد من أهمية الإشكالية العامة من جهة، ويكشف عن التفاعلات والروابط السببية والوظيفية بين تلك المشكلات الجزئية ويكسبها عمقاً ودلالة عند دراسة الموضوع والبحث في إشكالية الأطفال مجهولي الوالدين بإعتبارها متعددة الأبعاد سواء في الأضرار التي يعيشونها بفعل الحرمان العاطفي وما يصيب ذاتهم الوجودية من خلل نفسي عميق من جهة وما تكرسه القوانين والتشريعات العربية من تمييز بحقهم التي تلحق الوصمة الإجتماعية بإسم القانون من جهة أخرى، وما يترتب عليه من مظاهر سلبية في مفهوم الذات والإنتماء والعمل والزواج والإندماج والتكيف الإجتماعي في حياتهم والإنخراط والعيش كمواطنين يتمتعون بكامل الأهلية الإجتماعية في المجتمع من جهة أخيرة.

إذاً يمكن معالجة إشكالية الأطفال مجهولي الوالدين من مقاربات علمية أو قانونية أو نفسية أو إجتماعية تحاول توفير الأجوبة على المفردات التالية:

1- واقع الأطفال مجهولي الوالدين وأوضاعهم الإجتماعية على المستويات الرسمية الحكومية والأهلية التطوعية.

2- الوقوف على المشكلات والعقبات التي يعيشها الأطفال مجهولو الوالدين وإحتياجاتهم وتطلعاتهم سواء المودعين منهم لدى المؤسسات الإيوائية أو لدى الأسر الحاضنة لهم.

3- التعرف على أساليب الرعاية والتأهيل وطرق التنشئة [للأطفال] الأطفال مجهولي الهوية في سياق الهوية والإنتماء والمواطنة.

4- فحص القوانين والأنظمة واللوائح والأحكام القانونية التي ت[...] حقوق الأطفال مجهولي الوالدين مقارنة بالمنظومة الدولية لح[...] الإنسان ومدى ملائمتها للعصر.

كل تلك المفردات المشار إليها أعلاه، تشكل أسئلة عميقة متصلة بإشك[...] الأطفال مجهولي الوالدين وحالتهم في الوطن العربي، يمكن البناء [...] والإنطلاق منها في بحث موضوع الأطفال مجهولي الوالدين من المقا[...] العلمية الرئيسية التالية، على سبيل المثال وليس الحصر، وهي:

1- المقاربة النفسية التي تدخل في سبر أغوار موضوع حالة الحر[...] العاطفي الكلي للأطفال مجهولي الهوية ومعاناتهم الوجودية والص[...] سواء في المؤسسة أو عند تكفلهم وإحتضانهم لدى أسر بديلة [...] أوضاعهم النفسية وما يترتب عليها في داخل المؤسسة ومأزق الح[...] والهوية والثقة والذات ومواصفات ومهام العاملين النفسيا[...] والإجتماعيين والإداريين وصولاً إلى متابعة الأسر الحاضنة وكذ[...] مواصفات الأبويين في الأسر الحاضنة. وكل الطرق العلمية في المق[...] النفسية مفتوحة لدراسة الموضوع والمعالجة بالطريقة التي ي[...] الباحث مناسبة.

2- المقاربة الإجتماعية التي هي إقتراب من موضوع واقع الأطفال مجه[...] الهوية وبين حياتهم في الأسر البديلة أثناء تكفلهم وكذلك واقعه[...] المؤسسة ومدى ملائمتها في التربية والتنشئة لهم ليكونوا أطفال عاد[...] وأسوياء إجتماعياً ومتكيفين مع البيئة الأسرية والبيئة الإجتماعي[...] المؤسسية وقضايا رعايتهم الصحية والنفسية والتربوية ومدى تأ[...] وتدريب المشرفين عليهم بالإضافة إلى الأنشطة والبرامج المقدمة [...] على مستويات الإرشاد العقلاني والسلوكي وبرامج تنمية الذكاء وكذ[...] إزالة الوصمة الإجتماعية النفسية وأساليب المواجهة تجاه توفر الق[...] والإعتبار، ناهيك عن دور ومساهمات المجتمع المدني ومنظماته [...] حماية الأطفال مجهولي الهوية.

3- المقاربة القانونية هي دراسة موضوع واقع القوانين والتشري[...] والإجراءات المعمول فيها في الدول العربية الأساسية في مجال ر[...] الأطفال مجهولي الهوية ومدى قدرتها على خلق الأهلية القانو[...] المواطنة لها حقوق وواجبات في الحق في الحياة والحق في الحفاظ [...] الهوية وغيرها، مقارنة بالمرجعية الحقوقية المستندة على منظو[...] القانون الدولي في حماية حقوق الإنسان وبخاصة إتفاقية حق[...] الطفل.